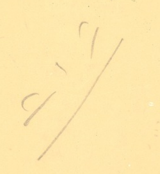
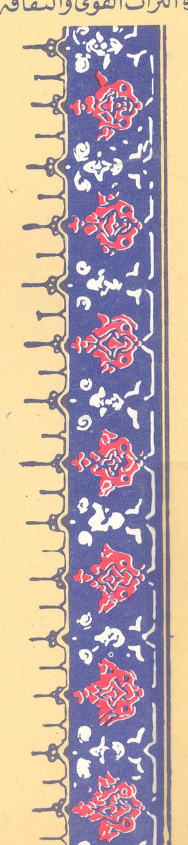




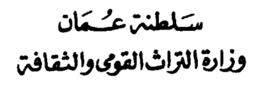


سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

حضارة عمان القديمة

تأليف
الشيخ عامر بن علي بن عمير
الأمين العام لمشروع جامعة السلطان قابوس

العدد ٦٣





حضارة عمان القديمة

تأليف

الشيخ عامر بن علي بن عمير
الأمين العام لمشروع جامعة السلطان قابوس

إعداد

محمد الكامل

العدد ٦٣


بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة التى ألقاهـــا

سعادة الشيخ عامر بن على بن عمـــير الموهوبى

الأمين العـــام لمشروع جامعة السلطان قابوس

بمناسـبة الأســـبوع الثقـــافى العمـــانى

بالمملكـــة الأردنيـــــة الهماشميـــــة

بســم الله الرحمن الرحيم

مقــــــدمة

إننى إذ أقدم هذه المحاضرة القصيرة الى القراء الكرام ، أود أن أؤكد لهم بأننى لســت بمؤرخ ، إلا أنه كان لى الشرف العظيم عندما كلفنى سمو السيد فيصل بن على وزير التراث القومى والثقــافة بتحضير وإلقــاء هذه المحاضرة فى أثنــاء الأسبوع الثقافى العمانى فى المملكة الأردنية الهاشمية فى عاصمتها عمــان ، وشعرت بذلك أنه أتيحت لى الفرصــة لإثارة انتباه وشوق الحاضرين لمعرفة مــا استطاع أن ينجزه العمانيون القدامى من حضــارة انســانية نبعت من قيمهم الأخــلاقية النبيلة ، وقوة إرادتهم التى لا مثيل لهــا ، برغم الظروف الصــعبة التى كانوا يعيشون فيها ، وقســوة المناخ الطبيعى الذى لم تكن لديهم التسهيلات العلمية والتكنولوجية تساعدهم فى التغلب عليها ، تلك التسهيلات التى نعتبرها اليوم بغير تمعن كجزء من حياتنا اليومية .

والآن أقدم هــذه المحاضرة التى تجمع معلومات من مصادر مختلفة عربية وأجنبية الى الشباب العمانى ، آمــلا أن تكون حافزاً لهم للمزيد من الاطلاع على حضارتنا ، وراجياً أن تكون

كذلك مثيرة لاهتمامهم ، ومشجعة لجهودهم المتزايدة والمستمرة ؛ للارتقـاء بمستواهم الثقافى . والمشـاركة الفعالة فى جميع النشاطات التى تعود بالفائدة للمجتمـع العمـانى والعربى والاسلامى ، وذلك تعبيراً لشكرهم وتقديرهم لمولانـا جلالة السلطان المعظم حفظه الله ورعاه لمـا قام بتوفيره لهم من فرص التقـدم والازدهار لبلادنا عمـان .

وختاما لا يسعنى إلا أن أقـدم شكرى وامتنانى الى سمو معالى السيد فيصل لإتاحته لى هـذه الفرصة التى كان من الأفضـل أن تعطى لمن هو أهل لأن يقوم بهذه المهمـة ؛ وأرجو المعذرة من الجميع عن أى نقصـان أو تقصير فيمـا قدمته فى هـذه المحاضرة نابعين من عدم الكفاءة أو من عدم التقبيل . والله ولى التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تقـــــديم

عندما نتحدث عن حضارة الانسان فاننا نعنى تلك الفترة التى بدأ الانسان يتكيف فيهـا مع بيئته ، ويستغلها ويسخر مـا حوله لتطوير أسلوب حياته ، لكى يستفيد من النعم التى أسبغها الله سبحانه وتعالى على خلقه فى هذا الكون •

وطبقا لمـا ذكره المؤرخون أن حضارة الانسان قد بدأت فى قرى صـغير منعزلة ، كان الشاغل الرئيسى فيها هو كسب المعيشـة اليومية ، وحماية النفس من قسوة العوامل الطبيعية ، وضراوة المخلوقات الأخرى •

وقـد أدت هذه الاحتياجات الأساسية الى بروز بعض المهن كالصـيد والزراعة ، ثم تربية الحيوان والنسـيج ، وصناعة الأوانى والأوعية والأسلحة والبنـاء • ونظرا لتميز الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى بالعقل ، فانه لم يكتف بالاحتياجات الأساسية لمعيشـته فقط ، بل بدأ ينمى وبطور هذه المهن من مرحلة الى مرحلة فى مسيرة الحضارة الانسانية ، حتى وصـل الى عصر التكنولوجيا الذى نحن فيه الآن • والذى لا يزال فى تطور مستمر •

هـذا كله نعمة من رب العزة جل جلاله كمـا يقول فى

كتابه العزيز : (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بمـا ينفع الناس ومـا أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخرة بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) (١) صدق الله العظيم •

إننـا نعرف القليل عن هـذا الكون وعن الحضـارات الانسانية القديمة فيه • وقد أستقينا مـا لدينا من معلومات عن هذه الحضارات من مصادر دينية وتاريخية ، واذا مـا عدنا الى المصـادر التاريخية نجـد أن حضـارة الانسان بدأت فى الجزء الشرقى من عالمنا فى الفترة مـا بين ٣٥٠٠ و ١٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، وهى حضـارات نمت وازدهرت على شواطىء الفرات ودجلة والنيل فى العالم العربى ، ونهر انداس فى الهند •

وسبب ذكرنا هذه الحضـارات بالذات هو قربها الجغرافى من منطقتنا ، علماً بأن هناك حضارات أخرى قامت فى منـاطق أخرى من هـذا الكون وازدهرت خلال قرون عديدة قبـل الميـلاد •

---

(١) سورة البقرة الآية ١٦٤ .

يقــدر بعض المؤرخين أن حضارة بلاد ما بين الرافدين بدأت حوالى سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ، وحضارة مصر القديمة حوالى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد . وحضـــارة أنداس فى الهند حوالى سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ، وما يمكن أن نستنتجه من هــذا هو أن عمــان كانت محاطة بهذه الحضارات الثلاث قبل ٥٠٠٠ سنة تقريبا • ومن سمات هــذه الحضارات أنهــا انتقلت من مرحلة الحياة الفطرية والعزلة والانشغال بأساسيات المعيشــة للبقــاء ، الى مرحــلة التقــدم والارتقاء الاجتماعى والفنى والثقافى . فبدأ الانسان يفكر فى بناء مأوى أحسن من مأواه القديم ، وفى تشكيل نظام للحــكم وسن قوانينه ، واختراع طريقة الكتابة والقراءة ، كما بدأ أيضــا فى التفكير والتأمل فى الحيــاة بعد الموت ، وفى عظمة هــذا الكون الذى يوحى بوجود خالق له ، فبنى المعابد والمقابر •

ومن ســمات هــذه الحضــارات أيضــا أن الانسان لم يكتف بعــزل نفســه فى بيئتــه المحــدودة والمقصورة ، بل أراد أن يوســع آفاقــه الى خـــارج بيئتــه المباشرة ليتعرف ويســتفيد من منجزات المجتمعات الأخرى والبيئــات المختلفة عن بيئته ، فبدأ باختراع وسائل النقل لتســاعده فى انتقاله وترحاله من مكان الى آخر • وقــد أدت هذه المحاولات الى شن غزوات من ناحية ، والى الاتجار من ناحية أخرى •

أما حول تأثر هــذه الحضارات بعضها ببعض ، فإن بعض المؤرخين يشكون فى حدوث ذلك ، ويؤكدون على استقلالية كل منها فى النمو والازدهار ، وإن كانت هنــاك بعض الصــفات المتشابهة والمشتركة • ويعتقد البعض الآخر أن بعض الحضارات الحديثة قــد تأثرت بتلك التى سبقتها عن طريق نشر الحضارة ، وهذا ما يسميه مؤرخون فى الغرب بــ Diffusion of Civilization

وبرغم ذلك ومهما قيل فى هــذا الموضوع فإن مما لا شك فيه هو أن بعض المجموعات البشرية الصغيرة التى كانت تقيم حول هــذه الحضارات لا بد وأن تكون قــد تأثرت بهــا •• وربما استفادت منها ومن تجاربها • وفى غضون سنوات أو قرون ذاع شأن هــذه الحضارات الى مستوطنات أخرى تبعد مسافات منهــا :

حضــارة ما قبل الاســلام :

الحضــارة العمانية القديمة

بعــد المقــدمة الموجزة عن بداية التطور الحضــارى للانسان فى المنطقة المجاورة لعمان ، نأتى الى لب الموضوع وهو الحضارة العمانية القديمة ، وما نستطيع أن نستنتجه من الأدلة التاريخية التى تتوافر لدينا ، علما بأن هــذه الأدلة لا تزال

محـــدودة وغير متكاملة أو كافية ، مثلها مثل كثير من أدلة تاريخ الحضـــارات القديمة فى جميع أنحاء العالم • وجهود المؤرخين وعلماء الحفريات والتنقيب ، مستمرة فى البحث عن المزيد من الأدلة للتمكن من ربط الأطراف المتنافرة ، والوصـــول الى معلومات دقيقة وموثوق فيهـــا بقدر الامكان •

إن عمليات التنقيب لم تكشف الى الآن عن وجود قرى أو مستوطنات فى عمان تعود للعصر الحجرى • ولكن علمـــاء الحفريات عثروا بالفعل على بعض المقابر القديمة التى ألقت الضـــوء على أشياء كثيرة مهمة ، وعلى ســـبيل المثـــال : عثر هؤلاء العلماء على جرار من الفخار فى مقابر بجبل حفيت بالقرب من البريمى ، وفى مقابر أخرى غرب عبرى • واتضح أن هـــذه الجرار تشبه فى شكلها وفى أسلوب صـــناعتها جرار حضـــارة « جمدت نصر » التى نمت على شواطىء الفرات ودجـــلة بين سنة ٣٠٠٠ و ٢٨٠٠ قبل الميـــلاد •

ويقول علماء الحفريات : إنه وجدت فى جزيرة أم النـــار التى ترجع حضارتها الى الألف الثالث قبل الميلاد آثار تشابه الآثار التى عثر عليها العلماء فى قرية « بات » فى منطقة عبرى فى عمان • ويعتقد بعض المؤرخين أن آثارا مماثلة وجـــدت فى إيران أيضـــا • وبالاضافة الى هـــذه الجرار الفخارية عثر

الخبراء على اثار يرجع تاريخها الى العصر الحجرى ، وبعض الأسلحة فى وادى بهـلا وأزكى فى عمان الداخل ، وعبرى فى منطقة الظاهرة • وإن دل هـذا على شىء فإنما يدل على سابق صـلات تجارية بين هـذه الحضارات المتقاربة جغرافيا •• وما يمكن أن نستنتجه من هذا هو وجود حضـارآت أخرى . ربما كانت أقل شأنا من حضارة الأكاديين والسومريين ، وأنه كانت هناك اتصالات تجارية بين هـذه الحضـارات ، وأكبر دليل على ذلك هو العثور على لوحة من لوحات الملك سرغون ملك الأكاديين من سنة ٢٣٧١ الى ٢٣١٦ التى كتب عليها ما يدل على أن سفن مجان ودلمون ومالوخا كانت ترسو فى ميناء أكاد •

كما ورد كذلك فى لوحة من لوحات ملك السومريين أرنامو (٢١١٣ — ٢٠٩٦) UR. Nammu بعد مضى قرنين من عمر ملك الأكاديين ، أنه فتح للمرة الثانية طريق التجارة بين سومر ومجان ودلمون ، وذلك بتسهيل المرور فى قنوات النهر للسفن القادمة من مجان ودلمون • ويظهر أن حضـارة الأكاديين والسومريين فى ذلك الوقت كانت أكثر تقدما من الحضارات الأخرى التى كانت حولها ، الأمر الذى أدى الى تأثر تلك الحضارات الى حـد ما بما أنجزه الأكاديون والسومريون ، وخاصة مجـان التى يعتقد كثير من المؤرخين بأنها عمان القديمة ، ودلمون حسب النظرية السائدة بين علماء التاريخ هى البحرين القـديمة •

أما بالنسبة للحضارة الثالثة وهى ما تسمى بمالوخا . فهناك شكوك فى موقعها الفعلى ، غير أن الرأى السائد هو أن مالوخا كانت جزءا من الحضـــارة الهندية القديمة فى وادى نهر انداس فى الهند • وان كان هـــذا صحيحا فمن الجائز اذن أن نقول إن الصـــلات التجارية كانت تدور بين هذه الحضارات الثلاث ، وتمثلت فى تبادل المنتجات المختلفة ، وفى معاملات البيع والشراء ، كما يبدو أيضـــا أن دلمون ومجان كانتا لا تتاجران فى منتجاتهما فقط ، بل كانتا تعملان فى نفس الوقت كمراكز تجارية للبضائع التى كانت تأتى من حضارات أخرى •

وهنا نتساءل عن امكانية قيام أتصالات بين حضـــارتى مجان ودلمون . وحضـــارات أخرى خارج المنطقة • ومـــع أنه لا يوجـــد دليل أكيد يشير الى ذلك فإننا لا ندرى كيف نبرر إبحار مراكب مجان أو دلمون الى ميناء أرو أو أكاد ، وهى محملة ببضـــائع مثل الخشب ، علما بأنه لم تكن توجـــد غابات فى كليهما • ولو أن بعض المؤرخين يذهبون الى إمكانية وجـــود غابات كثيفة فى تلك العصور التى نتكلم عنها •

أما البضائع الأخرى التى كانت تجرى التجارة فيها بين مجـــان ودلمون من جانب ، وأكاد وسومر من جانب آخر ، فهى النحاس ومواد البناء كالحجارة التى كانت مدن حضارة سومر

بحاجة اليها لبناء القصـــور والمعابد ، كما جـــاء فى وثيقة عن أمير مدينة لاجاش Lagash حيث يقول : إنه كان يتلقى الهدايا من مجان ودلمون ومالوخا وأنه كان يستورد مواد البناء كالخشب والحجارة diorite من تلك الحضارات الثلاث لأجل الإله • وكما جاء كذلك فى وثيقة أخرى أن الكاهن Nin - Gir - Su,Lu, Enlilla - الذى كان يشرف على معبد نانا Nanna فى زمن الملك أبى سين Ibbi-Sin الذى كان ملك أور UR من سنة ٢٠٢٩ — ٢٠٠٦ أنه كانت له صـــلة تجارية بينه وبين مجان حيث كان هو يصـــدر بعض البضائع لكى يتمكن من شراء نحاس من مجان •

مجان وتعـــدين النحاس :

لموضوع النحاس ومجان أهمية كبرى لربط عمان بمجان ، وذلك لأن النحاس كان ولا يزال من منتجات عمـــان الرئيسية أكثر من أى بلد فى الخليج • ولهذا السـبب قامت السـلطنة بتكليف خبراء من جامعة هارفارد فى سنة (١٩٧٣) بالتنقيب لاكتشاف مناجم النحاس القديمة فى عمان • الأمر الذى ألقى بعض الضـــوء على هـــذا الجزء من الحضارة العمانية القديمة • فقـــد جاء فى تقرير هؤلاء الخبراء أنهم اكتشفوا سبعة عشر مستوطنة فى عمان ؛ وبعد دراسة الآثار التى وجدت فى هـــذه المستوطنات من الأوانى الفخارية وطريقة البناء بالحجارة ،

وفضـــلات النحاس ، تأكد بأن تاريخ هــذه الآثار يرجع الى الألف الثالث قبل الميلاد • ويستطرد هــذا الوفد فى تقريره بالقول : إنه كانت هناك ميــاه متوافرة فى ذلك الوقت فى مواقع الحفر ، الأمر الذى أدى الى الاستيطان البشرى فيهــا •• كما اكتشفوا أيضـــا نوعا من السـدود التى كانت تشــيد فى الوديان لكى تتحكم فى سيل المياه وتسربها الى جوف الأرض ، وهناك صـــور وتفاصيل لبعض هــذه الآثار ولمواقعها فى الجزء الأول من مجــلة الدراسات العمانية •

ويرجى مراجعتها لمزيد من التفاصــيل ••

أما عن النحاس فيقول التقرير : إنه وجــدت فعــلا آثار تدل على عمليات صهره فى وادى سمد فى المنطقة الشرقية ، وفى منطقتى الباطنة والظاهرة ، ومما يثير الانتباه هنـــا هو أن مواقع صـــهر النحاس كانت قرب الأراضى الزراعية التى يتوافر حولهــا المــاء ، الأمر الذى يدل على صـــهر النحاس فى ذلك الوقت كان نشاطا فرعيا لمواطنى هــذه المســتوطنات البســيطة ، التى ربما كانت تعتمد على الزراعة أساسا ، ثم انتقل صهر النحاس بعد ذلك الى مواقع غير زراعية وتطــور الى نشاط تجارى ، وأصــبح النحاس من المنتجات الرئيسية للتصــدير الى الخارج •

والجـــدير بالذكر أن الشركة التى تعمل فى انتاج النحاس فى عمـــان حاليا اكتشفت مواقع عـــدة وجدت فى بعضها كميات وافرة ، وفى بعضها كميات غير مجـــدية اقتصاديا ، غير أنه من الجائز أنها كانت اقتصـــادية فى تلك الأزمان ، وكما هو معروف لديكم أصبح النحاس من المصـــادر الرئيسية لعمـــان الآن ، ويوجد فى مدينة صـــحار فى منطقة الباطنة مناجم لاستخراج النحاس يقدر إنتاجها بـــ ٢٠ ألف طن فى السنة ٠

وتبين الآثار الأخرى التى تم اكتشافها فى المنطقة ، أنماط حياة هؤلاء العمانيين القدامى ، فقـــد كانت تقع مستوطناتهم فى الأراضى الخصبة الزراعية حيث الميـــاه متوافرة ، وقد وجدت آثار سدود بسيطة لحفظ الماء فى جرف الأرض ، وآثار أخرى تدل على وجود طـــرق الرى فى ذلك الوقت ، ويؤدى كل هذا الى الاعتقاد بأن النشاط الزراعى كان من جملة أنشطتهم ، وربما كان نشاطهم الرئيسى ٠ ووجود آثار صـــهر النحاس يؤكد لنا أنهم كانوا يستعملون الأوانى المعدنية ، بالاضـــافة الى الأوانى الفخارية ٠ ومن قول الملك سرجون ملك الأكاديين والملك أرنامو ملك السومريين أن مراكب مجان كانت ترسو فى موانيهم ، لذا يمكن أن نستنتج أن المستوطنين العمانيين القـــدامى كانوا على درجة لا بأس بهـــا من الحضـــارة ، وقد مكنتهم من الانتقال

من بيئتهم المباشرة الى حضارات أخرى أرقى من حضاراتهم ، وأن التجارة كانت كذلك من ضمن أنشطتهم اليومية ، ولابد أن بناء السفن كان من المهارات التى مارسوها ، وإلا كيف كان فى إمكانهم العبور الى أكاديا وسـومر ، وإرساء سفنهم فى تلك المـوانى .

ومما يعزز هـذا الرأى إشارة الملك دونجى Dungi مـلك السومريين على لوحة من مدينة لاجاش Lagash فى سنة ٢٠٥٠ قبل الميلاد الى وجود بنائين للسفن فى مجان فى ذلك الوقت . وتأكيدا لهذا التعبير القـديم أشار الرحالة العربى المسعودى فى القرن العاشر بعد الميلاد الى وجود بنائين للسفن فى عمان .

إن وجـود السفن يتطلب بالضرورة أن يكون هناك ميناء لهـذه السفن للانطلاق منه والرسو فيه ، وقـد يسأل البعض عن موقع هـذا الميناء أو الموانى فى ذلك الوقت ، وعن إمكانية عبور هـذه السفن الأولية البحار من مجان الى موانى سومر عن طريق هرمز . ويرى البعض أنه من الممكن أن جزيرة أم النار وحضارتها القديمة كانت تستخدم كميناء فى ذلك الوقت لسفن مجـان ، ومن الجائز أن اسم مجان كان يشمل عمان كما نعرفها اليوم ، والأجزاء المجاورة حولها . وجدير بالذكر أن كل هـذا افتراض لا يجب تقبله إلا بأدلة أثرية ثابتة . ومعذرة إن كنت

لا أستطيع الخوض فى هـذا الموضوع فى الوقت الحاضر .
وامتدادا لهـذا الافتراض ربما كان هنـاك طريق برى يربط
مواقع مناجم النحاس فى الباطنة ، ووادى الجزى بسـاحل
الامارات العربية . ولكى نعرف المزيد من الدلائل على هـذه
الحضـارة فى عمان أرجو أن تسمحو لى أن أراجع معكم بعض
صفحات تقارير وفـود الخبراء الذين قاموا بعمليات الحفـر
والتنقيب فى عمان من سـنة ١٩٧٣ ، وأود أن أخص بالذكر
تقرير فريق أثرى دانمركى ، وتقرير فريق أثرى أمريكى من
جامعة هارفارد ، وتقرير فريق أثرى بريطانى .

لنبدأ بالفريق الدنمركى الذى قام بعملية حفريات للمرة
الثانية فى سنة ١٩٧٥ حيث يقول هذا الفريق ضـمن أشـياء
كثـيرة :

« وكنـا فى عمليتنـا الأولى فى بات فى يناير — فبراير
(كانون الثانى — شباط) عام ١٩٧٣ قد ركزنا العمل على منطقة
دفن من الألف الثالث على منبسط خفيض على بعد ١ — ٢ كم
من الشمال الغربى من قرية بات الحالية .

وكان الجزء الجنوبى من هـذه المقبرة يحوى قبورا من
طراز أم النار ، كلها قـد نالتها يد العبث ، ولكن يسهل التعرف

عليها عن طريق نظام الجـدار الداخلى فيها والفخار المبعثرة حولهـا •

وقبور خلايا النحل فى الجزء الشمالى تشبه بنياتها قبور حفيت التى هى أصغر قليلا ، والتى كانت تحوى فخارا من شاكلة جمدت نصر • وهو مما أظهرته شـقف الفخار القليلة التى وجدت فى قبور بات •

أما المقبرة الحقيقية فكانت تحوى حوالى ١٠٠ قبر كلها مبنية بالحجارة ، ويبدو فيها تطور من قبور خلايا النحل الى قبور أم النار التى هى أكثر تعقيدا فى البناء وأوسع •

يضـاف الى ذلك أن أقرب منحدرات التلال تحوى مالا يقل عن ٢٠٠ قبر من الألف الثالث قبل الميلاد » •

وعن عملية التنقيب الثانية يقول التقرير :

« وعندما تم الحفر على البناء بدا بناء مستديرا يحيط به طريق من جـدار مسنن ، مبنى على حافة واد صـغير ، وكانت شقفات الفخار القليلة التى وجـدت فيه من الألف الثالث » •

وخلاصـة هـذا التقرير هو وجود أوان ومقبرة ومبـان حجرية فى بات على بعد حوالى ٣٠ كم من مدينة عبرى ، ويعتقد

محررو هـذا التقرير أن وجود هـذه الآثار يدل على قيام مدينة وليست قرية فى الألف الثالث قبل الميلاد •

والآن نحاول أن نسترشد من تقرير فريق جامعة هارفارد الأمريكيـة •

دعيت بعثـة هارفارد عام ١٩٧٣ للقيام بأول عملية مسح للآثار فى عمان ، وقـد استطاعت هـذه البعثة الأثرية خـلال فصلين من المسح أن تحدد موقع سبع عشرة مستوطنة يعـود تاريخها على الأرجح ، بناء على قطع الفخار المتصلة بها ، والمبانى الحجرية الى الألف الثالث قبل الميلاد وهو العصر البرونزى •

ويقول التقرير :

« ونتيجة لعملية المسح عام ١٩٧٣ فى وادى بهلا استنتجنا استنتاجا مبدئيا أنه كان من العوامل الأساسية فى اختيار الموقع لمستوطنات الألف الثالث قربه من مصـدر للمياه يكفى لاقامة نظام بسيط للرى ، وكذلك بالطبع لتلبية الحاجة الى الشرب وسـقاية الحيـوانات •

ولقد تبين موضع مستوطنة الألف الثالث ، التى سميت

وادى الفرع على بعد حوالى خمسة كيلو مترات شمال الرستاق . فى موضـــع مماثل لمواقع مستوطنات الداخل •

ووادى أبرا ووادى الأثلى ووادى الفرع ، هى فى الدرجة الأولى مستوطنات ، لكن يرتبط بها عــدد من الرجوم والحلقات الحجرية شبيهة بنصب قبور أم النار . وقــد اكتشــف فى مستوطنات وادى سمد والباطن والظاهر شواهد على صــهر النحاس • ويبدو فى حالة وادى سمد أن المستوطنة كلها كانت مشتغلة بعملية الصــهر » •

ومما يلفت النظر أن مواقع صهر النحاس فى الألف الثالث التى عثر عليها عــام ١٩٧٥ كانت كلها واقعة قرب الماء والأرض الصــالحة للفلاحة •

ويدل هــذا على أن انتاج النحاس فى العصور القديمة كان جزءا متكاملا مع حياة الجماعة ، على حين أنه صــار فيما بعــد صناعة خاصة ، ربما للتصدير تلبية لطلب جهات أجنبية •

ويرجع تاريخ المستوطنات السبعة عشر الى الألف الثالث ؛ وقد أمكن تحــديد ذلك ، على أساس مجموعات شقف الفخار وتماثلها مع مجموعات أخرى •

وقــد اكتشف فى كل واحــدة من المستوطنات الســبع عشرة بعض صدفات البحر ، ومن المحتمل أن حركة المواصلات بين الساحل والداخل كانت نشيطة مستمرة •

ولعل النحاس والحبوب من الداخل كانت تقايض بالمحار والسمك من الساحل •

وعندنا شواهد حسنة على وجود تجارة خارجية فى عمان فى العصر البرونزى • فهناك بعض الفخاريات التى تماثل ما كان فى بلاد ما بين الرافدين ، وأكثر من ذلك مما يماثل ما كان فى جنوب شرق إيران ••

لقــد راودت الباحثين دوما فكرة أن يجعلوا عمــان مكانا لملكة مجــان التاريخية • والمستوطنات التى كانت تشتغل بصهر النحاس فى وادى سمد والباطنة والظاهرة تدل على وجود جماعة فى الألف الثالث تشتغل بصهر النحاس •

تقرير البعثــة الأثرية البريطانية

زارت البعثة البريطانية عمان فى سنة ١٩٧٤ وخـــلال وجودها فى السلطنة زارت أجزاء من منطقة الشرقية حيث عثرت على عــدد من قبور « خلايا النحل » التى يرجع تاريخها الى أوائل الألف الثالث ، ووجدت أن هناك تشابها بين هــذه المقابر وتلك التى عثرت عليها البعثة الدنماركية فى بات •

وشوهدت مدافن متأخرة العهــد لعلها من الألف الأول قبل الميلاد ، مكونة من أبنية من حجارة مسطحة ممتدة صــفا طويلا شرقا حتى جعلان •

وتم اكتشــاف ثلاث مواقع غربى أزكى حيث كان يكثر الصــوان المصنع وقد وجد اثنان منهما على مرتفعين يطلان على وادى مقنيات ويقع الثالث على أرض مسطحة من الحصى فى أســفل جبل الكور •

ويقول تقرير هــذه البعثة : إن عمــان غنية بآثار المدافن وقد تبين من عملية المسح وجود عــدد كبير من نماذج متباينة من القبور ، وأمثلة من المبانى المتميزة بواجهة مبنية بحجارة مربعة فى جزيرة أم النــار •

ويستمر التقرير : « إن من الآثار الأخرى المثيرة للاهتمام قاعات مستديرة ضخمة مسورة بحجارة من نوع كان أول من لاحظه بعثة هافارد للمسح قرب بسيا فى وادى بهـلا • وقد دون وجود عشرة على الأقل من هـذه المبانى فى أثناء مسـح البعثة البريطانية : أربعة قرب بات واثنان فى فرق والروضة ، وواحـد فى الغرب قرب بهلا ، وأخرى غيرها فى أماكن مختلفة • ولم تقرر البعثة طبيعة هـذه المبانى الأثرية ، ولكنها تعتقـد بأن بعضـها ربما كانت مبـان للدفاع ، ولعـلّ غيرها كان لمقاصد دينيـة ••

وقد وجـدت البعثة البريطانية أوان فخارية كثيرة تختلف أنواعها ، وقارنتها بالأوانى الفخارية التى وجـدت فى مواقع حضارات قديمة فى المنطقة ، مثل حضـارة أم النار ، وحضارات إيرانية فى بامبورق بلوخستان • وقد سبق أن وجـد صندوق عليه زخرفة مماثلة فى مدافن هيلى من طراز أم النار : وقـد وجـدت أيضا فى أماكن أخرى صـناديق ذات حجرات فى مواقع سكنية متأخرة عثر عليها فى موهنجو دارو فى حضـارة نهر انداس فى الهنـد •

وقامت البعثة البريطانية بفحص موقع آخر حيث اكتشفت مدافن أخرى وبناء مربعا ، وتعتقد البعثة أن هـذا الموقـع هو قبر من طراز أم النار • كما أكدت الدكتورة كارين فريفلت

رئيسة البعثة الدنماركية أن الأبنية التى وجــدت فى المدافن كانت شائعة فى حضــارة أم النــار فى المدافن والمساكن ٠

يدل هــذا كله على وجود حضــارات قديمة فى عمــان فى أماكن مختلفة . وربمــا كانت هناك اتصالات بين هــذه الحضارات والحضــارات المجاورة فى المنطقة ، ومــا يجب أن نعرفه هو أن هــذه البعثات الثلاث استطاعت أن تكشف الغطاء فقط وأنه هناك الكثير الذى يتطلب جهــد بعثات مماثلة للقيــام بالمزيد من التنقيب والاكتشاف ، لعله يقودنا الى معرفة أدق عن هــذه الحضارات ٠ ولكن ممــا لا شك فيه الآن برغم هــذا كله هو أن لعمان حضــارة قديمة جدا ، يرجع تاريخها الى مــا لا يقل عن ٥٠٠٠ سنة من وقتنــا هذا ٠ وأكبر دليل على ذلك مــا وجدته البعثات الثلاث من أوانٍ ومبانٍ مماثلة لحضــارات المنطقة التى يعرف أنهــا كانت فى أوج ازدهارها فى الألف الثالث قبل الميلاد ٠

وحكومة جلالة السلطان قابوس بن سعيد ــ حفظه الله ــ حريصة كل الحرص على الحفاظ على تراث البلاد وحضارتها . ومن أجل ذلك أمر جلالته بإنشــاء وزارة خاصــة بالتراث القومى ، وعين سمو السيد فيصل بن على آل سعيد وزيرا لها ٠

ومنذ إنشائهـــا قامت وزارة الثقافة والتراث القومى بعدة أنشطة تتعلق بالحضـــارة العمانية . والتراث القومى : ومن ضمنها تشجيع التنقيب عن الآثار القديمة فى مختلف أنحـــاء السلطنة • وقامت الوزارة فعلا بمتابعة واستمرار عملية التنقيب التى قامت بهـــا البعثات الثلاث التى أوردنا بعض ما جـــاء فى تقاريرها أعلاه ، والتى أجمعت على وجود شواهد من الآثار التى اكتشفوها تدل على قيام حضـــارة فى عمان يرجع تاريخها الى الألف الثالث قبـــل الميلاد ، وذلك بمقارنة أساليب هـــذه الحضارة بأساليب حضـــارة أم النار وحضارة بلاد مـــا بين الرافدين •

وامتدت أنشطة التنقيب لوزارة التراث القومى الى البقاع الساحلية فى عمان ، واكتشفت موقعاً فى القرم فى منطقة العاصمة ، يضم آثاراً تدل على تواجد بشرى فى هـــذا الموقع فى الألف الخامس قبل الميلاد ، ويبدو أن إنسان ذلك العصر كان يستغل الموارد البيئية حوله من البحر والبر ، وكان يدفن موتاه فى حفر بسيطة فى الأرض مع مجوهرات من الصدف والحجارة •

وقد اكتشف علمـــاء التنقيب فى هـــذا الموقع حبـــة لؤلؤ فى يد أحـــد الموتى •

واكتشف هؤلاء العلماء كذلك فى جبل حفيت وفى منطقة أبرا

فى المنطقة الشرقية مقابر تشـبه خلايا النحل . ويرجع تاريخها الى الألف الرابع قبل الميلاد .

وفى سـنة ١٩٨٢/٨١ بدأت عملية التنقيب فى وادى سمد فى المنطقة الشرقية ، وظهر من هـذه العميلة أنه كانت فى هـذا الوادى مستوطنات منظمة فى حياتها ، وكان سكانها يمارسون فلاحة الأرض ، ويدل على ذلك وجد سدود بسيطة بنيت لحفظ المـاء لاستعماله للرى ، كمـا سكان هـذا الوادى يستخرجون النحاس من باطن الأرض ، ويصـهرونه فى أفران بنيت لهـذا الغرض . ووجدت فى أحد المسـاكن ٢٢ قطعة من النحـاس يتراوح حجمها بين ٦ و ٢٢ سم . ويعتقد الباحثون أن النحاس الذى كان ينتجه سكان هـذا الوادى وأودية أخرى فى عمـان كان يزيد عن الاحتياجات المحلية بكثير ، ولذلك لابد أنهم كانوا يصدرونه الى الخارج ، وليس من المستبعد أن يكون هـذا النحاس من عمان هو الذى كانت تحمله سفن مجان الى بلاد مـا بين الرافدين ، ومن الجلى أن هـذا هو أكبر دليل على أن مجان اسم قديم لعمـان .

ومتابعة تسلسل تاريخ الحضارات القدمية أمر فى غـاية الصعوبة نسبة لتوالى فترات زمنية يحف بها الغموض والاندثار من كل جانب . هذه الفترات التى لم تلاق الى الآن حظا من

التدوين أو الاكتشاف الأثرى الذى يربطهـا عضوياً بسابقاتها أو لاحقاتها من العصـور ، ومن الفترات الغامضة التى لم تفك طلاسمها بعد تلك الفترة ما بين الألف الأول قبل الميلاد وظهور الاسلام فى تاريخ عمان باستثناء منطقة ظفار .

تختلف المنطقة الجنوبية فى عمـان « منطقة ظفار » بعض الشىء عن المنطقة الشمالية وذلك فى مناخهـا العـام ، وطبيعة أرضهـا ونباتها لأنها تقع فى خط الأمار الموسمية التى تهطـل بكميات كبيرة فى فصـل الخريف الذى يبدأ من شهر يونيو الى شهر سبتمبر كل عـام ، فى الوقت الذى تعـانى فيـه مناطق شمال عمان من شدة حرارة الصيف والجفاف .

ولمنطقة ظفار تاريخ قديم يرجع الى قرن أو قرنين قبل الميلاد بحسب الآثار التى اكتشفت الى الآن .

ومن أكبر شواهد هـذه الحضارة القديمة فى ظفار تجارة اللبـان التى كان مركزهـا الرئيسى مدينة سمهرام فى خور روری قرب عاصمة المنطقة صلالة .

وقد تم التنقيب فى موقع سمهرام من قبل بعثة أمريكية فى الأعـوام ١٩٥٢ و ١٩٥٣ و ١٩٥٨ و ١٩٦٢ ، ونتيجة لهـذا التنقيب وجدت لوحات مكتوب عليها اسم سمهرام ، وأسماء

الملوك الذين كانوا يحكمون المنطقة فى ذلك الوقت • وهناك اختلاف فى الرأى بين علمـاء الآثار حول اسم المدينة ، فالبعض يقول إنهـا سمهرام ، والبعض الآخر إنهـا سامرام •

وبغض النظر عمـا اذا كان الاسم سمهرام أو سامارام . فاننا نعلم أنه كانت هناك مدينة وميناء فى خور رورى فى ظفار ، وأن هـذه المدينة كانت مركزا حضاريا متقدما ، وعلى اتصـال مع حضارات أخرى عاصرتها مثل الحضـارة الاغريقية • كمـا نعلم أيضا أن هـذه المدينة ازدهرت بتجارتها مع عديد من البلدان ، وكان من أكبر إنتاجها اللبـان الذى كانت تصدره الى الخارج لاستعماله فى المعابد والكنائس •

وبالنسـبة لتاريخ هـذه الحضارة تعتقد الدكتورة بيرين أنه كان فى القرن الأول قبل الميلاد . فى حين يعتقد الآخرون انه كان فى القرن الأول بعد الميلاد • وكان يصدر اللبان من مينـاء يسمى « موسكا » وبعد نقاش طويل عن موقع هـذا الميناء كتبت الدكتورة بيرين أنهـا تعتقد أن مينـاء موسكا كان يقع فى خليج ظفار حيث خوررورى ، وهناك آثار قديمة توجد حالياً فى خور رورى عبـارة عن بقايا قلعة قديمة فوق تل يطل على البحر ، وقد وصفها ويندل فلبيس الذى عاش فى ظفـار لمدة طويلة بأنها قلعة منيعة لمدينة ذات شهرة منسية ،

كانت تحافظ على سلامة أحسن مينـــاء فى ساحل ظفار ، لابد وأن تكون هى موسكا • وكتب رحالة ومؤرخ مجهول يونانى الأصــل فى القرن الأول بعــد الميــلاد فى كتابه عن موسكا ، Priplus of the Erythrean Sea وأشـــار اليـــه كمينـــاء بحرى أقيم لتصدير منتجات اللبـــان ، وكانت سفن البلاد الأخرى تتعامل مع رجال الحاشية الملكية على أساس مقايضة اللبـــان بمنتجا ت الحنطة و السمسم و المنسوجات •

كمـــا وصف الكـــاتب الرومانى بلينى الجنوب العربى القديم بأنه أغنى بلدان العالم وربما ذلك كان لسبب تجارتها فى اللبـــان •

الحضارة العربية الاسلامية فى عمان

إننى أخشى ألا تكون لدينـا أدلة تاريخية متسلسلة فى هـذا الصدد لنسترشد بها فى تحديد تراث أهل عمـان قبل وصول الأزد إليهـا ، وقد كتب بعض المؤرخين الأجانب عن هذا الموضوع . ولكننا نرى فى كتابتهم أنهم أخـذوا كثيراً من معلوماتهم من مصـادر عربية ، ولذلك لابد من الاعتمـاد على المؤرخين المعانيين أنفسهم ، وعلى الأخص أشهر هؤلاء المؤرخين وهمـا « سرحان بن سعيد بن سرحان ، وعبد الله بن حميـد السـالمى » .

فى كتابه « كشف الغمة » يقول سرحان عن دخول الأزد الى عمان بقيادة مالك بن فهم : « قال الكلبى : إن أول من لحق بعمان من الأزد مالك بن فهم » . ومهما كان سبب خروجه الى عمان . وهناك حديث عن كلب جاره الذى كان السبب لخروجه ، ولا داعى للدخول فى تفاصيل هـذه الحادثة فى هـذه المحاضرة . خرج مالك من السراة بمن أطاعة من قومه ، وسار يريد عمان فكان لا يمر بحى من أحياء العرب إلا سالموه لمنعته وكثرة عسـاكره .

ويقول سرحان : « إن مالك عمان ومايليها من الأطراف ،

وساسها سياسة حسنة ، وسار فيهـــا سيرة جميلة ، وله ولأولاده فى سيرهم الى عمان أشـــعار كثيرة وشواهد تركتها طلبـــاً للاختصـــار » ٠

ونقول نحن : ياليت سرحان لم يترك هـــذه الأشـــعار والشواهد حتى تكون فى حوزتنا لنستفيد منها فى وقتنا هذا ٠

ويقول السالمى فى كتابه « تحفـــة الأعيان عن سيرة أهل عمان » : إنه جاءت الى عمـــان بعد مالك بن فهم قبائل كثيرة من الأزد ،فأول من لحق بمالك من الأزد عمر بن عمرو بن عامر (ماء السماء) وولداه : الحجر والأســـود ، وتفرعت من الحجر والأسود بعمـــان قبائل كثيرة ، ثم جاءت بعدهم قبائل أخرى من الأزد فملئوها ، ويقـــال : إن الأزد سموا عمـــان عمانا لأن منازلهم كانت على واد لهم بمأرب يقال له عمان فشبهوها به ٠

لم تزل الأزد تنتقل الى عُمان حتى كثروا بهـــا ، وقويت يدهم ، واشتدت شوكتهم وملئوها ٠

ثم نزل عمان من غير الأزد أسامية بن لؤى بن غالب ، فنزل فى جوار الأزد ، وقال العوتبى : إن بنى أسامة اليوم فى توءم ،

البريمى ، وقال : إن فيهــا ناساً من بنى سعد وناساً من بنى عبد قيس •

كمــا نزل بعمان كذلك ناس من بنى متيم ، منهم من آل جديمة بن خازم وغيرهم ، ونزلهــا أيضــا قوم من الأنصــار فى الجاهلية ومنازلهم فى قرية يقال لهــا : ضنك • ونزل ناس من قطن من الأنصار ، ومنازلهم فى عبرى والسليف وناس من بنى الحارث بن كعب ومنازلهم بضنك ؛ ونزلها ناس من بنى رواحة بن قطيفة ابن عيسى •

هــذا تاريخ بعض القبائل التى نزلت عمــان بعد مالك ابن فهم ، وهناك كثير من القبائل العمانية اليوم التى تنتمى الى هــذه القبائل •

مالك بن فهم :

كان مالك بن فهم ملكا عظيما ، وكانت قبائل اليمن وغيرهم يهابونه ويفخرون به ويتعززون بمنعته ، ويقــال إنه فى ناحية أخرى نزل ملك من ملوك الأزد يقــال له :مالك بن زهير ، وكان عظيم الشــأن كذلك ، وكاد يكون مثل مالك بن فهم فى العزة والقدرة ؛ وخشى مالك بن فهم أن يقع بينهما تحاسد ، وأن يطمع أحدهما فى ملك الآخر فتقع بينهما الحرب • فخطب مالك

ابن فهم الحزام بنت مالك بن زهير ، فزوجــه على أن يكون الملك لأولادهـــا من بعده ، فأجابه مالك بن فهم الى ذلك ، وتزوجها فولدت سليمة بن مالك ، وهو أصغر أولاده واحبهم اليه ، ولسليمة هــذا قصـــة مع أبيه مالك بن فهم بعد مـــا كبر وصار شاباً ومات مالك على يده ، وهو أحب الناس اليه .

ويقول السالمى : إن سبب ذلك كان أن مالكاً قد جعل على أولاده لحراسة بالمناوبة كل ليلة على رجل منهم مع جماعة من خواصه وأمنائه من قومه . وكان سليمة أحظى ولد مالك عنده وأقربهم اليه . فحســـده إخوته وجعلوا يطلبون له زلة عند أبيــه وقومه . وكان مالك يعلم سليمة من صغره الرمى بالسهام الى أن أتقنه ، وكان يحرس كإخوته .

وأقبل ذات يوم نفرمن إخوته الى أبيهم فقالوا : يا أبانا إنك قد جعلت على أولادك الحراسة بالنـــوبة . ومـــا أحد منهم إلا وهو قائم بها عليه ما عدا سليمة فانه أضعف همة وأعجز ، وأنه إذا نزل الليل يعتزل عن فرســـان قومه ، وتيشاغل بالنـــوم والغفول عما يلزمـــه .

لم يصدق مالك كلامهم وقال لهم : إنه لم تزل الإخوة تحسد بعضهم بعضـــاً لإيثـــار الآباء بعضهم على بـــعض ولكن داخله الشك الى أن كانت الليلـــة التى كانت فيها نوبة ابنه سليمة ، وقد

خرج سليمة ذات ليلة فى نفر من فرســان قومه يحرســون كالعــادة ، ثم اعتزل عنهم سليمة فى مكان يقرب دار أبيه ، فبينمــا هو فى ذلك المكان إذ أقبل مالك من قصره فى جوف الليل مختفياً من حيث لا يعلم به أحد . قاصداً الى ذلك الموضع .

وكان سليمة فى ذلك الوقت قد لحقــه نوم على ظهر فرسه ، فرأى الفرس شخص مالك من بعيد ، فصهلت وانتبــه سليمة من غفوته مذعورا ونظر الى الفرس وهى ناصبة أذنيها الى شخص مالك ، ففوق سهمه اليه وهو لا يعلم أنه أبوه ، فسمع مالك صوت السهم فهتف به يا بنى لا ترم أنا أبوك ، فقــال سليمة : يا أبت ملك السهم قصده فأرسله ، وأصاب السهم مالكا فى قلبه . وبموجب هــذه القصة قال مالك قصيدة طويلة قبل موته ، نعى نفســه فيها ، وذكر سيره الذى ساره من أرض السرات الى عمان . لا نستطيع أن نأتى بهــا فى هذه المحاضرة إلا هذه الأبيــات فقط :

جــزاه الله من ولد جــزاء
ســـــليمة إنــــه سامــا جزانى

أعلمــه الرمــاية كــل يــوم
فلمــا اشــتد ساعده رمــانى

ترخــانى بقــدح شــك لبى
دقيق قــد برتــه الراحتـــــان
فأهــوى ســـهمه كالبـــرق حتى
أصـــاب بـــه الفؤاد ومـــا عدانى

جلس سليمة مع إخوته بعد ذلك فترة ، حتى بلغـــه أن أخـــاه معن كان يطلب غفلته ليغرى به سفهـــاء قومه من حيث لا يعلم أحد ، فأقسم ألا يقيم فى أركى عمان . وأجمع رأيـــه على ركوب البحر . فخرج هرباً فى نفر من قومه ، حتى نزل بفارس وتزوج بامرأة منهم من قوم يقال لهم : « الأسفاهية » ؛ إنه رحل ونزل بأرض كرمـــان ، وله قصة أخرى هناك لا مجال لهـــا فى هذه المحاضرة .

ولا يوجد دليل على الأحداث التى شهدتها عمان فى أعقاب وفاة مالك ، وإن كان من المرجع أن أبناءه ظلوا يتناوبون الحكم الى أن انتقل منهم الى أسرة أخرى من الحكـــام هى أسرة بنى شمس ، وهى فرع من قبيلة الأزد التى وفدت الى عمان بعد وصـــول مالك إليهـــا ، وكان يتزعمها معولة بن شمس ؛ ولا تتحدث السجلات التاريخية عن الكيفية التى تم بها انتقال الحكم الى أسرة بنى شمس ، وكل مـــا أعرفه عن الموضوع ما ورد على لســـان المؤرخ العمانى الشيخ العالم عبد الله بن حميد

السالمى الذى يقول : « إن أول ملك يتولى الحكم من هـذه القبيلة هو عبد العز بن معولة بن شمس » ويصـفه أنه كان حاكما قويا ونشيطا امتد حكمه الى أبعد من اليمامة والبحرين •

وإن أمكن الاعتماد على البحث الذى أجراه ح • س • ولكنسن عن دولة بنى جلندى . فعبد العز بن معولة بن شمس يكون من أجداد الجلندى بن المستكبر بن مسعود بن الجرار ابن عبد عز بن معول بن شمس ووالد عبد وجيفر اللذان كانا يحكمان عمان عند ظهور الاسلام ، واللذان أسلمـا على يد عمرو بن العاص رسول النبى صلى الله عليـه وسلم إليهم فى السنة الثامنة أو التاسعة بعد الهجرة •

ويتفق جميع المؤرخين على أن أهل عمـان اعتنقوا الاسلام خلال حكم الأميرين جيفر وعبد ابنى الجلندى •

وعن كيفية إسلام أهـل عمان لابد وأن نلتزم بالاعتمـاد على المؤرخين العرب الذين تطرقوا الى هـذا الموضوع بكثير من الانصاف والادراك •

أهل عمان فى الإسلام

يقـال إن أول من اعتنق الاسلام فى عمان كان رجـل يسما مازن بن غضوبة . وكان من سكان سمائل فى الجزء الداخلى من عمان ، وكان قبل الاسلام يعبد الأصنام .

وتقـول الرواية : إن مازن بعد أن علم بأمر الدعـوة الاسلامية سافر الى المدينة ، وأسلم على يد الرسول صلاة الله وسلامه عليـه .

وفى حديث مازن قال : « وركبت راحلتى قدمت عـلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم فسألته عما بعث له ، فشرح لى الاسلام ونور الله قلبى للهـدى فأسلمت » ثم قـال : (قلت : يا رسول الله إنى مولع بالطرب وبشرب الخمر ، لجوج بالنساء وقد نفد أكثر مالى فى هـذا ، وليس لى ولد ، فادع الله أن يذهب عنى ما أجـد ، ويهب لى ولداً تقر به عينى ويأتينا بالحياة ، فقال النبى صلى الله عليـه وسلم : « اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام حلالا ، وبالعهر عفـة الفرج ، وبالخمر رياً لا إثم فيـه وأتهم بالحيـاة وهب له ولداً تقر به عينه ») .

أمـا عن إسلام أهل عمان فقد جاء عن الواقدى أن النبى

صلى الله عليه وسلم كتب الى جيفر وعبد ابنى الجلندى الأزدى ، وبعث عمرو بن العاص بكتـــابه إليهمـــا . فكان أول من لقيه عمرو عبد بن الجلندى ، وكان أحلم الرجلين وأحسنهما خلقا . ثم سلم عبد كتاب النبى صلى الله عليه وسلم لأخيه مختومـــاً ففض ختمـــه وقرأه حتى انتهى الى آخره ، ودفعه الى أخيـــه عبد فقرأه مثل قراءته ، ثم التفت الى عمرو فقـــال : إن هـــذا الذى تدعو اليه من جهة صاحبك أمر ليس بصغير . وأنا أعبد فكرى فيه وأعلمك .

استحضر جيفر وعبد جمـــاعة الأزد . وبعثوا الى كعب ابن برشة العودى فسألوه عن أمر النبى صلى الله عليه وسلم فقـــال : « الرجل نبى وقد عرفت صـــفته وسيظهر على العرب والعجم » فأجاب جيفر الى الاسلام وأسلم هو وأخوه فى ساعة واحدة ، ثم بعث الى وجوه عشـــائره فبايعهم لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأدخلهم فى دينه وألزمهم تسليم الصدقة وأمر عمرو بن العاص بقبضهـــا .

هكذا كان أسلام أهل عمـــان ، وليس كمـــا يقول بعض المؤرخين الأجانب مثل المؤرخ الانجليزى مايلز : إن العمانيين لم يعتنقوا الاسلام من منطق الايمـــان به ، وإنمـــا خوفا منه ، وبدافع المصلحة والضرورة وأنه بعد أن رأى العمانيون كيف

انتصر محمد صلى الله عليـــه وسلم على اعتداز بنى قومه عليه ؛ وعلى رسالتـــه النبوية خشـــوا من زحف قوات المسلمين على بلادهم • أو أنهم وجدوا فى جيوش المسلمين سنداً لهم فى مقاومتهم للاحتلال الساسانى للبــلاد ، ولا يوجد أى مبرر لهـذه التكنهات إذ إن العمانيين أنفسهم وبدون أى مســاعدة عسكرية من أية جهة أخرى قاموا بطرد جيوش الاحتلال عندما رفضـــوا الدخول فى الاســلام •

وعلى ذلك فقد جاء الاسلام الى عمــان ليبقى وينتشر ، ولمــا كان جيفر وعبد نفساهمــا قد آمنــا به فانهما ناشدا القبائل أن تحذو حذوهما •

وبدأ الأزد يتشربون تعاليم الدين الجديد من المبعوث الذى أوفد إليهم لدعوتهم اليه ؛ وهو عمرو بن العاص الذى أقــام فى عمــان حتى غادرها عند سماعه بوفاة النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وعندما اضطرته وفاة النبى صلى الله عليه وسلم الى الرحيل صحبه عبد وعدد من كبار شخصيات الأزد •

وعند وصولهم الى المدينة ألقى سيدناأبو بكر كلمة ترحيب أمام المهاجرين والأنصار قال فيها : « معاشر أهــل عمان إنكم أسلمتم طوعاً لم يطأ رسول الله ساحتكم بخف ولا حافر ، ولا جشمتموه مــا جشمه غيركم من العرب ، ولم ترموا بفرقة ،

ولا تشتت شمل ، فجمع الله على الخير شملكم ؛ ثم بعث اليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح ، فأجبتموه إذ دعاكم على بعد داركم ، وأطعمتوه إذ أمركم على كثرة عددكم وعدتكم . فأى فضـــل أبر من فضلكم ؟ وأى فعل أشرف من فعلكم ؟ كفاكم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفاً الى يوم الميعاد . ثم أقام فيكم عمرو مـــا أقام مكرماً ، ورحل عنكم إذ رحل مسلماً . وقد مَنّ الله عليكم باسلام عبد وجيفر ابنى الجلندى ، وأعزكم الله به ، وعزه بكم ، وكنتم على خير حـــال حتى أتتكم وفـــاة رسول الله صلى الله عليـــه وسلم فأظهرتم مـــا يضاعف فضلكم ، وقمتم مقاما حمدناكم فيه ، ومحضتم بالنصيحة ، وشاركتم بالنفس والمـــال ، فيثبت الله ألسنتكم ويهدى قلوبكم ، وللناس جولة فكونوا عند حسن ظنى فيكم ، ولست أخاف عليكم أن تغلبوا على بلادكم ولا أن ترجعوا عن دينكم . جزاكم الله خيرا » .

وتقول الأستاذة الدكتورة / ســـيدة اسماعيل كاشف فى كتابها « عمان فى فجر الاسلام » : انه بعد أن اعتنق العمانيون الاسلام اقبلوا بحمـــاس بالغ على دراسة القرآن والتفسير والحديث وآداب اللغـــة العربية . فأصبحت عمـــان بفضل فقهائها وعلمائها وأدبائها مركزا هاما لحركة العلمية الدينية .

الامام جابر بن زيد وعدد علماء من عمان

ومنذ قديم الزمان برز أول فقيه شهير من العمانيين اسمه جابر بن زيد ، الذى ولد فى قرية صغيرة تسمى « فرق » قرب نــزوى •

قيــال إنه ولد بين العام ١٨ والعــام ٢١ بعد الهجرة خال فترة خلافة عمر بن الخطاب ، وإنه قد أمضى طفولته فى مسقط رأسه ، ودرس القرآن ، وهو صغير وتبحر بعمق فى الفقه ، وكان تعطشــه للعلم لا يروى • ولذا غادر عمــان وذهب الى البصرة التى كانت مركزا عظيما للعلم فى ذلك الوقت •

أمضى جابر بقية حياته بين البصرة والمدينة المنورة ؛ الأمر الذى جعــله على صلة بأكبر فقهــاء المسلمين حينذاك ؛ واستوعب منهم كل مــا أمكنه من استيعابه من تعاليم العقيدة الاسلامية من كافة جوانبهــا • وقد تعلم جابر من عبد الله بن عباس الذى وصــفه « بالبحر » ومن السيدة عائشة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أبى هريرة وأنس بن ملك وأبى سعيد الخدرى وسيدنا على بن أبى طالب وآخرين كثيرين غيرهــم •

ونسب لجابر قوله : إنه أدرك سبعين من الذين شاركوا فى

موقعة بدر ضمن جنود النبى صلى الله عليه وسلم • وقد ورد أن ابن عباس قد قال للناس : « اسألوا جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه » كما أشار ابن عباس الى أهل العراق فى ذلك الوقت وقال : « عجبا لأهل العراق كيف يحتاجون الينا ومعهم جابر بن زيد » •

وعاصر جابر بن زيد كثيراً من العماء والفقهاء ، مثل الحسن البصرى وغيره ، وكان ينشر العلم فى المساجد ، ويجاهد فى سبيل إحياء سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويدعو سراً وعلناً الى ضرورة محافظة الأمة الاسلامية على شريعة الله •

ومن تلاميذ جابر بن زيد وزميله أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة التميمى ، والامام الربيع بن حبيب صاحب المسند المعروف باسمه ، وكان الربيع من أهل الباطنة من عمان ، ثم خرج الى البصرة لطلب العلم ، وكان شابا حين التقى بالامام جابر بن زيد • وبعد أن قضى معظم حياته فى البصرة يطلب العلم ويقوم بتدريسه عاد الى عمان وطنه فى عمان حيث انتقل الى جوار ربه فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى •

وتقول الدكتورة / سيدة اسماعيل كاشف انه نشر « الجامع

الصحيح » للربيع بن حبيب فى القدس فى سنة ١٣٨١ﻫ وفى دار الكتب المصرية بالقاهرة مخطوطة « مسند الربيع » للربيع بن حبيب تحت رقم ٢١٥٨٢ب • وتستطرد بالقول ان من أهـم من حمل العلم عن الامام الربيع بن حبيب من البصرة الى عمان خمسـة علماء عمانيون كان لهم الفضل الأكبر فى ازدهـار الحيـاة العلمية فى فجر الاسلام فى عمان ، وهم : أبو المنـذر بشير بن المنـذر النزوانى ، ومنير بن النير الجعلانى ، وموسى ابن أبى جابر الأزكوى ، وحبوب بن الرحيل ، ومحمد بن المعلى الكندى •

وهناك عدد كبير من هن علمـاء عمان الذين لعبوا دورا كبيرا وفعـالا فى نشر الدين الاسلامى والثقـافة الاسلامية ، ليس فى عمـان فقط بل فى افريقية الشرقية كذلك • وهنـاك علماء وفقهـاء من الذين كرسوا حياتهم فى طلب العلم ونشره ، وأكبر دليل على ذلك المؤلفات المخطوطة التى تقوم وزارة التراث القومى فى عمـان بجمعهـا وحفظها وطباعتها فى وقتنـا هذا ، والتى بلغ عددها الى الآن أكثر من أربعـة آلاف مخطوطة منها كتاب « العين » امام الكتب فى اللغة للخليل بن أحمد الأزدى الفراهيدى الذى خرج من عمـان الى البصرة وأقام بهـا • وكتاب الجمهرة لأبى بكر أحمد بن محمد بن أبى حسن بن دريد الأزدى ، وكتاب الكامل لأبى العباس المبرد •

وإن كان هؤلاء من بعض العلماء والمؤلفين العمانيين الأولين ، فهناك كذلك علماء أتوا بعدهم لا يقلون عنهم شأنا ، ومنهم فضيلة الشيخ عبد الله بن حميد السالمى صاحب كتاب « تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان » وله مؤلفات عديدة « كجوهر النظام » وهو كتاب فى الفقه الاسلامى منظوم فى عشرة آلاف بيت . وهذا الفقيه الذى فقد بصره وهو فى سن الثالثة عشرة من عمره ، ولم يكن قد تجاوز الأربعين عاما عند وفاته فى سنة ١٣٣٢هـ الموافق سنة ١٩١٤م قد ألف أكثر من اثنين وعشرون كتابا .

وقد نشر السالمى شرحا لكتاب الربيع بن حبيب « الجامع الصحيح » وفى مقدمة هذا الكتاب التى كتبها عز الدين التنوخى قال : إن ثلاثية الربيع بن حبيب الأزدى وأحاديثها فى مسنده من أصحها رواية وأعلاها سنداً ورجال سلسلة الثلاثية الحلقات هم أبو عبيدة التميمى وجابر بن زيد الأزدى ، والبحر عبد الله ابن عباس شيخ جابر وكلهم مشهورون بالحفظ والضبط والأمانة والصيانة .

هذه أمثلة قليلة عن العلماء والمؤلفين العمانيين الذين ساهموا مساهمة فعالة فى إثراء الفكر الاسلامى وإرساء الحضارة العمانية المجيدة حتى أصبحت عمان الاسلامية مركزا علميا هاما .

دور العمــانيين فى الملاحــة

ولا يسعنا قبل أن نختتم هذه المحاضرة إلا أن نذكر بعض الشىء عن الدور العمانى فى الملاحة • فقد ذكرنا سابقا فى هــذه المحاضرة أنه لابد وإن كان العمانيون القدامى يمارسون مهنــة صناعة السفن من قديم الزمــان ، وإلا كيف كان فى إمكــانهم العبور الى بلاد مــا بين الرافدين • وإرساء سفنهم فى موانى السومريين • كما ذكرنا كذلك أن المؤرخ العربى المسعودى أشار فى القرن العاشر بعد الميلاد الى وجود مهنة صناعة السفن فى عمــان •

ويقول المسعودى كذلك : أن أصحاب المراكب الذين كانوا يبحرون الى افريقيــة الشرقية فى القرن الرابع الهجرى — العــاشر الميلادى كانوا عرباً عمانيين من الأزد ، وكان أقصى مينــاء تصــل اليه هو مينــاء سفالة فى موزمبيق الذى كان مرفأ تجارة الذهب القادمة داخل البلاد ، أما السلع التى كانت المراكب تسعى لجلبهــا من شرقى افريقية فهى الذهب والعــاج والأخشاب والتوابل •

وكان إيجــار الأساطيل التجارية العمانية الى افريقية ومدغشقر بغرض جلب العــاج والصــوف وجلود النمــور

والعنبر ، وهى سلع كان الاقبال عليهـا شديدا فى العراق والهند والصين • ويبدو هـذا واضحا فى البقايا الأثرية الكثيرة لمدينة صـحار التى كانت مدينة ذات شـأن كبير فى التجارة فى ذلك الوقت • وهناك رواية أن أول ملاح عربى أبحر من صحار الى كنتون فى الصـين كان عمانيا اسمه أبو عبيدة عبد الله بن قاسم فى القرن الثامن الميلادى • وتأكيداً لإمكـانية مثل هـذه الرحلة البحرية قامت وزارة التراث القومى بالتعاون مع البحار البريطانى تيم سفران ببناء سفينة شراعية بموجب مواصفات السفن العمانية القديمة ، وأعدتها للسفر من ميناء مسـقط الى كنتون •

وكمـا يعرف الجميع ، فقد قـام تيم سفران مع مجموعة من الشباب العمانيين ، وبعض علمـاء العلوم البحرية بهـذه الرحلة التى سميت رحلة السندباد بنجاح فى نوفمبر سـنة ١٩٨٠ من ضمن احتفالات العيـد الوطنى العاشر لعمـان • ووصلوا كنتون فى شهر يوليو بسلام آمنين بعد أن سلكوا الطريق البحرى الذى يعتقد أنه المسمار الذى طرقه أبو عبيدة سابقا • ولاشك أن ميناء صحار كان أكبر الموانى ازدهارا • ويذكر المسعودى كذلك أن ازدهار صحار يرجع الى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى • ويقـال : انه قداشترك هـذا المؤرخ فى كثير من

الرحلات التجارية مع الملاحين العمانيين ويذكر أن ربابنة السفن فى عمان كانوا يرتادون بحار الصين والهند والسند وافريقية الشرقية ، واليمن والبحر الاحمر والحبشة ، كما كانوا يقطعون أطول الطريق البحرية التجارية فى فترة القرون الوسطى وهم الذين ألفوا القصص والحكايات التى انحدرت منها قصص السندباد .

ان صناعة السفن العمانية تطورت بعد ذلك حتى استطاعت أن تنافس السفن الأوربية فى تصاميمها . وفى أيام حكم الامامين ناصر بن مرشد ، وسيف بن سلطان اليعربيين أصبح جهاد العمانين موجهاً ضد سفن الأوربيين بصفة عامة ، وسفن البرتغاليين بصفة خاصة ، حتى فى عام ١٦٥٢م أبحر أسطول من المراكب العمانية على مراكز البرتغاليين فى ميناء (بيته) قرب زنجبار ، ولكن البرتغاليين عادوا اليها بعد قليل واحتلوها .

وفى عام ١٦٥٥ أبحر أسطول عمانى آخر الى ممباسة ، وكان أهلها قد استعانوا بسلطان بن سيف على البرتغاليين ، وقد استسلمت المدينة بعد حصار دام خمس سنوات وانسحب البرتغاليون منها ونصب فيها والى عمانى .

وفى أثناء حكم سيف بن سلطان استأنف العمانيون نشاطهم

البحرى على أوسع نطـاق ، وسارع الامام سيف الى تدعيم الأسطول العمانى ، ويقال انه كان يملك ٣٨ مركبا صغيراً و ١٤ مركبا كبيرا زود أكبرها بثمانين مدفعـا ، وحل أسطوله محل أسطول البرتغاليين فى السيطرة على منطقة غرب المحيط الهندى . ويقول « هاملتون » الانجليزى ان العمانيين قد فرضوا بهـذا الأسطول هيبتهم على الساحل كله الى البحر الأحمر ، وامتد نفوذهم الى الخليج بعد أن أقام الامام سلطان بن سيف حامية له فى عـام ١٧٧٧م .

وفى عهـد السيد سعيد بن سلطان الذى يعد واحدا من ألمع الحكام العرب فى القرن التاسع عشر الميلادى . كانت أهم ممتلكات عمان هى التى فى ساحل افريقية الشرقية ، وقد بلغت السيطرة العمانية على بعض الموانى الى حد اقامة حاميات دفاعية فيهـا مثل ممباسة ولا مووبيتة وكلوة ومركا ومقديشو .

انتقل السيد سعيد الى زنجبار فى سنة ١٨٣٢ ، ، كان قرار انتقاله هـذا قراراً سياسيا من الدرجة الأولى ومن بين الأسباب التى دعت اليه الحاجة الى موقع تجارى على طريق رأس الرجاء الصالح من المحيط الاطلسى الى الهند . بالاضـافة الى الانتاج الزراعى فيهـا الأمر الذى أدى الى أن تصـبح المنتجات

الزراعية كالقرنفل وجوز الهند ومنتجات أخرى كالعاج وقرون الحيوان والصدف والعنبر والأخشاب توزع فى جميع أنحاء المحيط الهندى وحتى الى أمريكا وانجلترا .

يقول تاجر أمريكى : إن السيد سعيد بن سلطان وصل الى زنجبار بأسطول كبير فيه ٦٤ مركبا حربيا كبيرا . و ٣٦ مركبا صغيرا ، مراكب أخرى شراعية تحمل ما لا يقل من ستة آلاف جندى . وقال الانجليزى بارتون : إن اسطول السيد سعيد فى ذلك الوقت كان يعتبر من أقوى الأساطيل فى القوى البحرية فى المحيط الهندى ولأجل اثراء التجارة بين ممتلكاته والدول الأوربية أرسل السيد سعيد أول سفير عربى الى أمريكا فى فى سنة ١٨٤٠ فى السفينة « سلطانة » بقيادة أحمد بن النعمان الكعبى ، كما أرسل أول سفير عربى الى انجلترا فى سنة ١٨٢٨ ، وهو على بن ناصر الذى كان واليا فى ممباسا ، وأرسله مرة ثانية فى السفينة « سلطانة » فى سنة ١٨٤٢ — وكان ذلك فى عهد الملكة فكتوريا . كما أن البارجة كارولينا التابعة لأسطوله زارت ميناء مارسليا فى سنة ١٨٤٩م .

ويعتبر عهد السيد سعيد بن سلطان من أهم العصور بالنسبة لمجالات النشاط الملاحى .

ويقول مؤلف كتاب عمان فى تاريخها البحرى : إنه كانت

هناك تطورات هامة تجرى على فنون الملاحة عند العرب . ومن أهمها استعمال الابرة المغناطيسية ، وانه لمن المؤكد أن الفضـــل الكبير فى هذا التطور يعود الى الملاحين العمانيين .

ومن أبرز الشخصيات التى اقترن اسمها بتاريخ الملاحة وعلوم البحار فى تلك الفترة الملاح العمانى شهاب الدين أحمد ابن ماجد صاحب كتاب « الفوائد فى أصول البحر والقواعد » وقد كتب نحو أربعين كتابا تتنـــاول موضوعات الملاحة البحرية ، غير أن كتاب الفوائد يعتبر غاية مـــا وصلت اليه الكتابة العربية عن الملاحة ، وألفه فى الفترة بين عامى ١٤٨٦ و ١٤٩٠م . وقد ظل الملاحون فى المحيط الهنـــدى يعتمدون على هـــذا المرجع الهام فى رحلاتهم حتى نهاية القرن الثامن عشر .

هـــذه نبذة عن دور العمانيين فى الملاحة وهناك معلومات دقيقة وكثيرة فى المراجع التاريخية لمن يريد أن يتعمق فى هـــذا الموضـــوع .

خـاتمـــة

وفى ختام هـذه المحاضرة أرجو أن أذكر المستمعين الكرام بأان هناك موضوعات أخرى تتعلق بتاريخ عمان وحضارتها القديمة لم يسمح لنا الوقت بتناولها فى هـذه المحاضرة ، منها معركة دبا التى دار حولها نقاش طويل ، وتضارب فى الآراء عما إذا كانت هـذه المعركة نتيجة لردة بعض المسلمين فى عمان أم لا .

منها أيضا موضوع الدور الذى لعبه أهل عمان فى الفتوحات الاسلامية فى هـذه المنطقة ونشر الاسلام فى البلاد المجاورة ، وفى افريقيا الشرقية ، وكيف نشأ المذهب الأباضى واستقر فى عمان الى يومنا هـذا ، وماهية هـذا المذهب الذى أساء فهمه معظم المعلقين ، المسلمين وغير المسلمين .

وأرجو المعذرة إذ أننا لا يمكن أن نعطى هذه الموضوعات حقها فى هـذه المحاضر وربما نتناولها فى مرات قادمة والله ولى التوفيق ...

مطابع سجل العرب